

نحو محددات تربية للحياة الجنسية لدى المراهقين

د. لطيفة الكندري

مديرة مركز الطفولة والأمومة

في هذا المقال الموجز ملاحظات ميدانية عايشتها عبر خبرة تقديم الاستشارات الهاتفية والإلكترونية والمباشرة والتي لها صلة بالحياة الجنسية عند المراهقين والمراهقات.

لماذا يشعر المثقفون بالحرَج كلما اتجه النقاش نحو الحياة الجنسية؟ هل نحتاج للحديث عن أمر الجنس في المحيط الأسري؟ وإلى أي مدى؟ وقد يقول قائل أنه في السابق لم تقدم الأسرة التوعية الجنسية ولا تقدم الجرعات المعرفية التي تذكر اليوم ومضت الأمور على ما يرام؟ هذه أسئلة نسمعها هنا وهناك ومن حين لآخر ومهما يكن الأمر فإن ظروف الحياة تغيرت في ميادين كثيرة وإذا افترضنا جدلاً أن السابقين لم يحفلوا كثيراً بنشر الثقافة الجنسية اللازمة أسرياً فإن الوسائل التكنولوجية اليوم لا تتحرج أحياناً من نقل تفاصيل مثيرة جنسياً بالكلمة والصوت والصورة والحركة... والمؤثرات كثيرة ولا بد من تحصين الأبناء من سمومها وتقليص سلبياتها قدر الإمكان.

إن الجهل بمهارات الحياة الجنسية لا يقل خطراً عن المبالغة في فحص تفاصيل الثقافة الجنسية! إن كتمان الحقائق لا يوصل الأبناء إلى بر الأمان وكذلك الحرية الخالية من الانضباط والمنافية للأخلاق. تلعب المورثات الثقافية السلبية دوراً كبيراً في استبعاد الجنس عن ساحة التداول والمناقشة والتحليل... وقد يعتقد قلة من الناس أن الأمر يقتصر على بضعة إرشادات شرعية وتوجيهات أخلاقية نقدمها لليافعين وبذلك يسدل الستار وتنتهي المسألة... وهذا تصور غير صائب أبداً فالأمر أعمق من خطوات عابرة.

من المطلوب تهئية المراهق قبل بلوغه وذلك من خلال تعريفه بالتغيرات الجسدية ومتعلقاتها التي تطرأ على الحياة الشخصية والاجتماعية... التي يتعرض لها عموماً وزيادة التحاور معه في الموضوعات التي تجول بخاطره والأمر يشمل البنت أيضاً. الثقافة الجنسية السليمة هي التي تراعي الضوابط الدينية وتستثمر نتائج الدراسات العصرية في مجال تربية المراهق في ضوء القيم المجتمعية.

إن توخي الحذر في شراء المجلات والأفلام وفي تصفح شبكة الانترنت وتوقيتها بفترات زمنية مناسبة... وفي تمرين الشاب على استخدام الهاتف النقال وفق مقتضيات المسؤولية من الواجبات الأسرية التي تتطلب يقظة دائمة ومعرفة تامة. إن التساهل والتسيب في مشاهدة اللقطات المخلة بالآداب وتهوين أمرها من أخطر العثرات التي تضر بصرح القيم ومستقبل الشاب بل إن مجاهرة الأب أو الأم بمشاهدة قنوات فضائية فاضحة ومشاهد خليعة هي إشارة إلى ضياع خلقي وبيئة لا تأتي إلا بالمتاعب.

الحديث عن العفة والطهارة والحياء في غاية الأهمية... وبعيدا عن المثاليات فإن المثريات الغرائزية تعددت فنونها وهي لا تفتن الشاب الأعزب فقط بل حبال حيلها وخبث طرقها في اتساع متواصل واستدرجت المتزوجين أيضا وأصبح العصر عصر يسير نحو المزيد من الإغراء والإغواء لآدم وحواء على حد سواء.

إن الأخبار التي تنشر على صفحات الجرائد بين فترة وأخرى عن حفلات زواج بين فتاتين أو رجلين تكشف عن انحراف في الفطرة السوية وتدل على خطورة الانحرافات الجنسية وأمراضها أوقعت الكثير من الضحايا وهم في زهرة شبابهم وهذه المخاطر تجعلنا نعيد النظر في عملية التربية الجنسية حتى نلصق المصائب ونعصم أسرنا من ويلات لا حصر لها.

وضع إسلامنا الحنيف طائفة من الركائز في منهج الاستعفاف وغيض البصر والحث على الاحتشام والتستر للجنسين وشنع على اللواط والسحاق وهي مفاهيم يحتاج إلى معرفتها جيل الشباب وغيرهم ودور التربية الوقائية أن تزين العفة في القلوب وتضع الضوابط لعملية الاختلاط بين الجنسين. من الأهمية بمكان أن نتحدث مع أبنائنا عن الأضرار المجتمعية والفردية لانتشار الفاحشة فالاقناع أول وأهم وسيلة للتهذيب وتحصين الأسرة أخلاقيا .

إن المتطلع في كتب التراث يدرك أن البحث العلمي اقتحم ميادين كثيرة منها الحياة الجنسية وفي ذلك يقول أحدهم "وإذا مر بك حديث فيه إفصاح بذكر عورة أو فرج أو وصف فاحشة فلا يحملنك الخشوع أو التخاشع على أن تصعر خدك وتعرض بوجهك، فإن أسماء الأعضاء لا تؤثم، وإنما المأثم في شتم الأعراض وقول الزور والكذب وأكل لحوم الناس بالغيب!" والشواهد التراثية كثيرة على أن أهل الفقه واللغة والتاريخ استعرضوا موضوعات في غاية الحساسية فالعلم لا حد له ولا حياء فيه.

قام مركز الطفولة والأمومة بمناقشة الكثير من القضايا المتصلة بالصحة الجنسية في بعض فعالياته وذلك بحضور لفييف من المختصين وذلك لنشر المعلومات الصحية والثقافية المتعلقة بالجنس وتوعية الأسرة بهذا الجانب الهام. ومن الكتب المتعلقة بهذا كتاب والتي تم تناوله في فعاليات المركز كتاب قام اليونسكو بنشره تحت عنوان "(التعلم للحياة) دليل التعلم للحياة وصحة الأسرة في تعليم مهارات الحياة للمعلمين والطلبة" ويحتوي هذا المصدر على مجموعة معلومات تتعلق بالمراهقين وتهدف إلى نشر وعي صحي متفق عليه في مجمله ويضم خلاصة توجيهات تسعى المنظمات الدولية إلى نشرها وتوعية المربين والطلاب وعلينا أن نستفيد منها في دائر منظومتنا القيمية.

وفيما يلي مجموعة من المعلومات التي يتم التطرق إليها في الاستشارات الجنسية:

1. يمكن للفتاة أن تمارس أي نشاط جسدي أثناء الدورة الشهرية.
2. إن الدورة الشهرية غير منتظمة في بدايتها عند الفتاة المراهقة وإن عدم انتظامها لا يسبب قلقا في العموم.

3. يجب تجنب مشاركة الملابس الداخلية مع الآخرين سواء أكانوا ذكورا أم إناثا علما بأن المشاركة في الملابس الداخلية لا يؤدي إلى الحمل.
4. الاستحمام بانتظام والحفاظ على النظافة الشخصية من الأمور المحمودة دائما ولا ضرر في ذلك للفتاة في فترة الحيض.
5. يحتاج المراهقون إلى معرفة فضل غض البصر ومعرفة أن عظيم الثواب لمن يستطيع أن يتحكم بشهوته ويصبر عن الحرام والله واسع العطاء. قال تعالى في اضاءة أخلاقية تصف أهل الإيمان: {وَالَّذِينَ هُمْ لِفُوجِهِمْ حَافِظُونَ} (المؤمنون: 5) ، وقال {وَلَا تَقْرُبُوا الزَّنى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا} (الإسراء: 32)، واللواط والسحاق من أشد الفواحش تحريما والانحراف الجنسي ممقوت والمجاهرة به أشد مقتا، وأعظم قبحا، وأشنع جرما.
6. الإدمان على العادة السرية يتعب النفس ويضعف التركيز الفكري فيتشتت البال في لذة منسوجة من السراب ويفوت الإدمان على صاحبه فرص عديدة لتنمية الذات وتمنعه من الانسياق خلف الملذات. إن افساح المجال لممارسة الهوايات الفنية والرياضية والموسيقية من أهم سبل سد فراغ الشباب وصرف نشاطهم من البحث في الملهيات إلى ترقية النفس.